يوسف حاجي

المجتمع





الطبعة الأولى 1441 هـ - 2020 م

(ISBN) :978-9947-79-000-0

إيداع القانوني: 2020/05

اسم العمل: المجتمع.

اسم المؤلف: يوسف حاجي.

تصميم الغلاف:

المدير العام / سميرة منصوري.

اخراج: ح. إيمان.

الناشر / دار المثقف للنشر الجزائر

صفحة الدار على موقع فيسبوك:

/https://www.facebook.com/elmothakaf

الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com

هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666



المثقف للنشر والتوزيع



يوسف حاجي







" كلمـا إزداد إبتعـاد المجتمـع عـن الحقيقـة كلمـا إزدادت كراهيتـه لمـن يتحدثـون بالحقيقـة "

جورج أورويل

" عندمـا تقـول نصـف المجتمـع سـيء سيسـخط الجميـع.. بينمـا لـو قلـت نصـف المجتمـع جيـد سـيحتفون بـك مـع أن العبارتيـن بمعنـى واحـد "

جورج برنارد شو





الإهداء

إلى

روح ضحايا وباء كورونا...

وإلى

الجيش الأبيض الذي يضحي من أجلنا...



المقدمة

منذ عهد سقراط وأفلاطون وإلى يومنا هذا لقد تم تقسم المجتمع إلى طبقات ومستويات ووضعت حدود تقيد كل طبقة وتعزلها عن باقي الطبقات وتفرض عليها نمط معين من العيش، وهذا التقسيم كثيرا ما كان يؤدي إلى صدام بين هذه الطبقات دون أن يترتب عنه تقويض إحدى هذه الطبقات أو إزاحتها من المشهد،غير أن هذا التقسيم لم يكن وليد الصدفة بل أوجدته ظروف فلسفية وسياسية واقتصادية ودينية؛ حيث قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاثة طبقات في جمهوريته التي دعى إليها، طبقة الملوك الفلاسفة وطبقة الإقتصادية مكونة من التجار والحرفيين وطبقة الحراس؛أما الإقتصاد فقد قسمه إلى برجوازية تملك وسائل الإنتاج وبروليتاريا أو الطبقة العاملة التي عليها بيع قوة عملها وطاقتها، ويذهب ماكس فيبر إلى أبعد من ذلك حيث وضع في نظريته " العناصر الثلاث للتقسيم الطبقي" التي رأت أن الطبقة الاجتماعية ناشئة من التفاعل بين " المركز "و " الطبقة" " السلطة ". ويعتقد فيبر إن مكانة الطبقة تحددها علاقة الشخص بوسائل الإنتاج بينما المكانة تنشأ من تقديرات الشرف والسمعة. ويستمد فيبر العديد من المفاهيم الأساسية له



عـن الطبقـات الاجتماعيـة مـن خـلال دراسـة البنيـة الاجتماعيـة فـي الكثيـر مـن البلـدان. وخلافا لنظريات ماركس فإنـه أشـار إلى الطبقيـة استندت على أكثر من مجرد ملكية رأس المال ، وأشار فيبر إلى أن بعض أعضاء الطبقة الأرستقراطية يفتقرون إلى الثروة الاقتصادية لكن مع ذلك فهم قد يملكون السلطة، وبالمثال في أوروبا فالعديد من العائلات اليهودية الثرية تفتقر إلى الهيبة والشرف لأنها كانت عضو في جماعة منبوذة.

والمتأمل في القرآن الكريم يقف على العديد من الآيات القرآنية، التي ألمحت إلى ظاهرة التفاوت الطبقي بين الناس؛ من ذلك قوله: {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض } (النساء:32)، وفي قوله: {والله فضل بعضكم على بعض في الرزق} (النحل:71)، وقوله تعالى: {انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض} (الإسراء:21) وفي قوله تعالى: { نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات }(الزخرف:32)، وقوله تعالى : { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} (الزمر :9) فهذه الآيات ونحوها تقرر حقيقة واقعة وهي أن الله سبحانه وتعالى قد فضل الناس بعضهم على بعض بشتى أنواع التفضيل؛فضلهم بالرزق فمنهم فقير ومنهم غني وفضلهم بالجسم فمنهم القوي ومنهم الضعيف، وفضلهم بالعقل فمنهم العالم ومنهم الجاهل وفضلهم بالشكل

فمنهم الجميل ومنهم القبيح وفضلهم بالدين فمنهم المؤمن ومنهم الكافر وفضلهم بالأخلاق فمنهم حسن الخلق ومنهم سيء الخلق.

والقرآن إذ يقرر هذا التفاوت بين البشر لا يدعو إلى ترسيخ هذا التفاوت وتنظيمه، بل غاية ما في الأمر أنه يقرر الحقائق الخالدة المركوزة في فطرة هذا الوجود؛ الثابتة ثبات السماوات والأرض ونواميسها التي لا تختل ولا تتزعزع.

فالقرآن الكريم -كما يقول سيد قطب رحمه الله-: "يرسي القواعد الأساسية والحقائق الكلية التي لا تضطرب ولا تتغير؛ ولا تؤثر فيها تطورات الحياة، واختلاف النظم، وتعدد المذاهب، وتنوع البيئات. فهناك سنن للحياة ثابتة، تتحرك الحياة في مجالها؛ ولكنها لا تخرج عن إطارها. والذين تشغلهم الظواهر المتغيرة عن تدبر الحقائق الثابتة، لا يفطنون لهذا القانون الإلهي، الذي يجمع بين الثبات والتغير، في صلب الحياة وفي أطوار الحياة؛ ويحسبون أن التطور والتغير، يتناول حقائق الأشياء كما يتناول أشكالها. ويزعمون أن التطور المستمر يمتنع معه أن تكون هناك قواعد ثابتة لأمر من الأمور؛ وينكرون أن يكون هناك قانون ثابت غير قانون التطور المستمر. فهذا هو القانون الوحيد الذي يؤمنون بثباته! فأما نحن أصحاب العقيدة الإسلامية فنرى في واقع الحياة مصداق ما يقرره الله من وجود الثبات والتغير متلازمين في كل زاوية من زوايا الكون، وفي كل جانب من جوانب

الحياة. وأقرب ما بين أيدينا من هذا التلازم ثبات التفاوت في الرزق بين الناس، وتغير نسب التفاوت وأسبابه في النظم والمجتمعات".

والمتحصل عليه مما تقدم، أن القرآن الكريم أقر ظاهرة التفاوت بين الناس واعتبر ذلك من المقتضيات الملازمة لاستمرار هذه الحياة، ودعا في الوقت نفسه إلى تقليل هذه التفاوت قدر المستطاع، لكنه لم يسع إلى إلغائه؛ لأن في ذلك إلغاء لسنة من سنن الحياة، ما يعني التناقض بين ما قرره القرآن وبين السنن التي أقام الله عليها هذا الكون.

ثم ظهر في الآونة الأخيرة مصطلح العوام والخواص وبات أكثر تداولا في أوساط المثقفين والمتعلمين،تجد المثقف أو صاحب المنصب عالي في الدولة وبغض النظر عن مستواه العلمي يميز نفسه بلقب خواص المجتمع وينعت غيره بالعوام؛ وما يعاب على هذه التقسيمات أنها جعلت أفراد الطبقة الواحدة نسخ من بعضها البعض وطبق الأصل دون أي اختلاف أو تفاوت بين أفراد الطبقة الواحدة سواء في القدرات المادية أو المعنوية.

ونحن في هذه الورقات التي كانت نتيجة سنتين من مراقبة المجتمع وكيفية تعاطيه مع الأحداث المحلية والعالمية، وكذلك من خلال مخالطة مختلف شرائحه على اختلاف مستوياتهم العلمية والفكرية والجغرافية وتقصي أخبار من لم نستطع إلى مخالطتهم

سبيلا، سنحاول جاهدين الوقوف على أثر هذه الأحدث وما تولد عنها داخل كل طبقة حريصين كل الحرص على الإلتزام بالموضوعية.

يوسف حاجي

10/06/2020



طبقات المجتمع

الطبقة الغنية

انقسمت هذه الطبقة على نفسها إلى طبقتين :

I/ الطبقة الغنية الجاهلة: يعرف على المنتسبين لها سواء طواعية أو كرها أنهم محدثي النعمة، أموالهم في قلوبهم لا في جيوبهم وهي أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وعشيرتهم تجد الفرد منهم يقدس الدينار لدرجة عبادته، همهم الأول والأخير تبييض أموال الليل وتكديس دراهم النهار فيتحول المال من المتحكم به إلى الحاكم في الرقاب المسيطر على العباد،المال هو الأمر الناهي لا يمكن لصاحبه أن يتجرأ ويبتاع لنفسه ثوبا نظيفا أو أكلا لذيذا ولا مركبا مريحا، هوايتهم في الحياة ضم الدينار للدينار، نظرتهم للحياة مختزلة في الجمع والمنع، عديمي الثقة فمن حولهم لا يتحدثون عن مشاريعهم وأموالهم مع من يعرفهم إلا همسا،كل عقاراتهم وسياراتهم والحسابات البنكية التي تعود لهم مسجلة بأسماء أبنائهم، بيوتهم في الدنيا قبور وفي الآخرة حفر، أثوابهم رثة ريحهم نتنة وجلودهم قذرة وأسنانهم متآكلة من سوء التغذية وأجسادهم متهالكة من الجري وراء الدينار.

تجدهم مع الفلاح فلاحين ساعة الحصاد، ومع موال موالاة، ومع

السمسار سماسرة، ومع الفقير عند قفة رمضان فقراء، وتجدهم مندسين في طابور المعوزين وقت الدخول المدرسي لأجل محنة وليس المنحة؛ وإذ نظرت إلى ما يقبلون عليه في سوق الخضار تشمئز نفسك ويتبدل لونك ويتعرق جلدك، يتجمعون تجمع الذباب حول ما تعافه الدواب لا البشر، ثم تراهم يحملون ما بقي عالق في قاع الصناديق تحت إبطهم مسرورين ببخس ثمنه وكثرته غير مكترثين برذائته، فأما الفاكهة فيغضون عنها الطرف ويهمسون لها موعدنا الجنة. غايتهم في زيادة الأرباح أباحت لهم كل وسيلة، القروض الربوية، تغييب الزكاة، التجارة في الممنوعات، الرشوة أو القهوة كما يحبون تسميتها في كل المجالات، ومنهم من اجتهد وألغى زكاة الفطر وأضحية العيد ..فهي في نظرهم تبذير.

أما إن تحدثنا عن الشهادات فأعلى شهادة عندهم هي شهادة الميلاد، تجدهم أمام كل إدارة أو كل مكتب تائهين خجولين أقزام ينزفون عرقا متلعثمين في الكلام أصواتهم مبحوحة جيوبهم معبئة مستعدين لرشوة من يدلهم على مكتب المدير أو مكتب مساعده.

2/ الطبقة الغنية المتعلمة:

أما الصنف الثاني من الأغنياء فهم الأخطر على البلاد والعباد، ويكمن خطرهم في جمعهم بين العلم والمال، ومن خبثهم وحبهم

في المزيد من المال طوعوا العلم لخدمة المال، فنمت ثروتهم وتضاعفت ممتلكاتهم ومدت أذرعهم في البلاد وحاطت به من كل جوانبه وتغلغلت في طبقاته ومؤسساته فكان لها قدرة عجيبة في تسيير الرأي العام وتوجيهه من خلال قنواتها وذبابها على المواقع والفضل دائما وفي الأول والأخير لبريق الدنانير الذي وأد المبادئ وألغى فكرة الثبات عليها.

هذه الفئة استطاعت أن توازي بين العيش الكريم وإنماء الثروة تجدهم يركبون في الأرض سيارات أخر موديل ولهم في السماء طائرات خاصة وفي البحر يخوت تمخر بهم عباب البحر، يأكلون ما مر على يد الطبيب، ويلبسون الحرير، وإن كنت من المحظوظين وصافحت أحدهم ستعلق بيدك رائحة عطرهم الذي يساوي الملايين لمدة أسبوع أو أسبوعين.

من مكرهم ودهائهم أنهم لا يضعون البيض كله في سلة واحدة في كل شركة لهم أسهم وفي كل بنك كان داخلي أو خارجي رصيد ومن كل عملة ملايين، فأموالهم لم يحصلوا عليها عن طريق ميراث تركه الآباء أو الأجداد أو عن طريق الجد والاجتهاد والعمل الدءوب بل كسبوها من تحيل على القانون ونهب أموال الشعب والأدهى من هذا كله أن اختلاسهم للمال العام كان بطريقة قانونية وفي وضح النهار مما جعل إبليس يقف احتراما لهم ولذكائهم.



فأغنياء هذا الصنف غير أغنياء الصنف الأول، تحالفوا فيما بينهم وشكلوا قوة اقتصادية موازية لقوة الدولة المتواجدون بها وأضحت لهم دولة داخل دولة؛ فاشتروا الذمم ونشروا الرعب وعاثوا في الأرض فسادا ودائما ما ينتهي الأمر بأفراد هذه الفئة قبل الفرار، إما إلى السجن إذ انتفضت السلطة السياسية في وجه عبثهم بمقدرات البلاد والعباد أو إلى الكرسي إن وجدوا غفلة وتساهل من الحاكم، وساعة تمكنهم من السلطة تقوى شوكتهم وتزداد شهيتهم للنهب ويفرضون ضريبة على كل شهيق وضريبة على كل زفير وعلى كل حركة وسكون ضريبة وتفرض ضريبة على الضريبة المفروضة.

هذا الصنف أو هذه الفئة تعد الأخطر على الحاكم والمحكومين ينبغي للحاكم العاقل أن لا يقرب مالهم بأي شكل من الأشكال لا بالهدية ولا في تقوية حكمه ولا دعم حملته الانتخابية ولا يستند إليهم في شدة أو ضيق تمر به البلاد، فكل دينار يقدموه فهو بالنسبة لهم مُعبد لمصلحة في الأفق.

تطويعهم العلم للمال ينم عن أنانية وتقديم المصلحة الخاصة على العامة لو كانت نيتهم سليمة لا جعلوا المال في خدمة العلم وبذلك تعم الفائدة ويرتقي المجتمع درجة في سلم التطور.

الطبقة الوسطى

الطبقة الوسطى تعد همزة وصل بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، يستحال أن تجد مجتمع يخلو من هذه الطبقة، هي طبقة جاهلة لثقلها في المجتمع لكونها تضم أكبر شريحة من المجتمع، ميزة أهلها أنهم متوسطون في الثقافة والعلم والأخلاق والتدين والتجربة في الحياة كتوسطهم في الدخل فالوسطية دينهم وديدنهم؛ غير أن هذه الطبقة أصيبت بعدوى الانقسام فانقسمت على نفسها قسمين كبيرين ولكل قسم خصائصه ومميزاته: فئة صابرة محتسبة راضية ليس بما قسم لها بل بما فرض عليها وفئة انتهازية مترصدة للفرص طامعة غير طامحة باذلة كل وسيلة في سبيل إدراك غايتها، غير راضية بما قسم لها،فهي في أغلب الأحيان تكون سوط السلطان في ترويض الرعية والبطش بهم والمعبدة لطريقه لكرسي السلطة، فهي تسبح بحمد من يدفع وتصلي وتنحر لمن يقضي لها مصلحة معادية لكل مصلح رافضة لكل دعوة للخير، لها موهبة فذة في اقتناص الفرص وركوب الأمواج والعقل عندهم مغيب وكل مخالف لهم عدو وكل مؤيد أو متعاطف معهم حذاء يلبسونه وقت ما يشاءون ويذهبون به إلى أين يشاءون، مؤدلجين منذ نعومة أظافرهم على

قمع الرأي الآخر وعلى تخوين معارضيهم، إنهم قوم يتميزون بهوية إنغلاقية قوامها الولاء الأعمى والتدين الشعبي والتقاليد المقدسة لهذا أصبحت عصية على مفارقة هذه التشكيلات لمصلحة الدولة الحديثة والمواطن الحر الديمقراطي.

الفرد منهم ينشأ خاضعا لجملة من المفاهيم والأخلاق والعادات ولكن نادرا ما يتساءل عن صلاحيتها وعقلانيتها وجذورها بل بالعكس يمررها لأبنائه ولمجتمعه ويحرص على تقديسها وعدم المساس بها حتى نشأت أجيال لا تفكر ولا تسأل عن أسباب تخلفها ولا تهتم بتطوير وتحسين واقعها.هذه الفئة تنظر إلى دينك، طائفتك، قبيلتك، ميولك الفكرية، مواقفك السياسية والاجتماعية والاقتصادية، قبل أن تنظر إليك كإنسان؛ جهله مولد لديهم كره لكل حر والحريات وحقد على المبدع وكل إبداع ودفع بهم إلى العمل لتخلص من كل أولئك القادرين على فعل ذلك؛ تتميز هذه الفئة بتناقض عجيب بين رفض الاستبداد والهجوم على كل الحريات والتشكيك في مفاهيمها فالغالبية تطالب بالحرية ولكنها تنكر الأدوات التي تحقق من خلالها إنها مرتبة قصوى في الانفصام التاريخي للمجتمعات التي أصبحت غير قادرة على الجمع بين رغبة الحرية وممارستها في الواقع، إنها فئة تعيش على استهلاك نتائج العلم ولا تفكر بأسئلته تعيش على قمع الحرية والعقل والجسد ثم تتوقع أفضل الأخلاق.

أنت مرتد، أنت كافر، أنت ملحد، أنت مثلي، أنت ديوث، أنت عميل، أنت عدو الله، أنت علماني، هذه ليست شتائم أو سب عند هذه الفئة بل هي أرائهم فيمن يخرج عن القطيع؛إنها فئة ضالة مضلة تتجاهل وتستبعد وتقصي وتحارب الإنسان الذي له رأي مخالف أو إذ مارس التفكير النقدي أو إذ رفض نمط العادات والتقاليد، تعتبر هذه الفئة فئة غير صحية الحياة معها لأنها تخلق أفراد صامتون مرضى معقدين نفسيا وعرضة للانفجار وأذية النفس والآخرين.

أما الفئة الصابرة المحتسبة الراضية بما فصل لها التي يغلب عليها السذاجة وتصديق كل الأخبار والأساطير دون تدبر أو تفكير، ويسهل اقتيادها إلى كل مجهول وفي أغلب الأحيان إلى حتفها؛ مصدر ثقافة أفراد هذه الفئة القيل والقال بعيدون كل البعد عن التكنولوجيا وأدواتها،يغلب عليهم طابع الخوف، الخوف من الحرية،الخوف من المختلف، الخوف من الانفتاح على الآخر، الخوف من التغيير، الخوف على الماضي، الخوف من المستقبل، الخوف من الواقع المعاش، الخوف من المطالبة بالحقوق، الخوف من الحديث مع النفس، الخوف من عدم إتقان الواجب، الخوف من شيخ القبيلة، الخوف من رجال الدين، الخوف من انتهاك العادات والتقاليد، الخوف من المجتمع، الخوف من النفس..

بقائهم على هامش الحضارة وعدم مواكبتهم للتطور الحاصل

أبقاهـم علـى هامـش الحيـاة، حتـى موقعهـم الجغرافـي الـذي اختـاروه ليعششـوا فيـه ليتكاثـروا بـه هـو ضفـاف المـدن وفـي المداشـر والقـرى؛ لا يتكلمـون إلا عـن زواج فـلان مـن بنـت فلان وسـرقة عـلان لمال فلان وعن وليمـة ختـان ابـن فـلان وغيرهـا من الأمور التي لا تـرد باطل ولا تأتي بحق.

وإن سـألتهم أنتـم مـع أم ضـد؟ اختـاروا المنطقـة التـي تقـع بينهمـا !! وذهبـوا وتركـوك قائمـا، نعـم إنهـم يريـدون العيـش وكفـا لا يهمهـم مـن أتـى ولا مـن ذهـب ولا يسـألون عـن المعتلـي كيـف اعتلـى.

حتـى نشـاطاتهم التـي يقتاتـون مـن مدخولهـا هـي موروثـة عـن الآبـاء والأجـداد، غيـر أنـه يمكنـك أن تسـجل أن الجيـل الجديـد منهـم يسـعى إلـى التغييـر فمنهـم مـن غيـر حرفـة الآبـاء والأجـداد إلـى حرفـة الجيـران، ومنهـم مـن غيـر تسـريحة شـعره، ومنهـم مـن غيـر طريقـة كلامـه، ومنهـم مـن غيـر طريقـة لبسـه، ومنهـم مـن ذهـب إلـى أبعـد مـن ذلـك وغيـر لـون شـعره ووضـع قـرط فـي أذنـه.

الطبقة الفقيرة فوق الخط

هـذه الطبقـة لا يمكـن ولا يجـوز بـأي حـال مـن الأحـوال أن تقسـم أكثر ممـا قسـمها مـن لا يخشـون الله،العجيـب فـي أفرادهـا أنهـم نسـخة مـن بعضهـم البعـض، الأفـكار، الأحـلام، التوجهـات، الانتمـاء، الـولاء، المعتقـد، مركـونـون فـي أطـراف الأحيـاء الشـعبية والمناطـق النائيـة؛ كل

شـيء فيهـم صـادق ابتسـمتهم، دموعهـم، فرحهـم حزنهـم، حديثهـم، حبهـم للوطـن دفاعهـم عنـه، قناعتهـم، طيبتهـم، حلمهـم، صبرهـم علـى مـرارة العيـش، متعففين؛ومـع ذلـك مهمشـين مـن طـرف السـلطة والجالسـين على كراسيها،مهانين من طـرف المتبرعيـن، محتقريـن مـن طـرف الميسـورين، مستغلين من طرف المرشحين، مهضومي الحقـوق مـن لـدن موظفيهـم، طاقاتهـا مهمشـة لا لشـيء إلا لأنهـا تقطـن جنـوب المدينـة، ثـروات منطقتهـم منهوبة،الإنمـاء والتعميـر والتطويـر في قراهـم وأحيائهـم لا يـزال حبـرا علـى ورق حبيـس درج مكتـب المسـعول وفـي أغلـب الأحيـان هـي ممنوعـة بحجـج واهيـة، كثفتهـم السـكانية عاليـة، كل الآفـات والجرائـم التـي يكتـب عنهـا فـي صحـف وجرائـد الأغنيـاء تنسـب لهـذه الطبقـة، الفـرد مـن هـذه الطبقـة متهـم حتـى يثبـت براءتـه ويرجـع سـبب اتهامـه بالإجـرام إلـى كونـه مـن الطبقـة الفقيـرة !! كـون الأغنيـاء لا يجرمـون علـى حـد تصورهـم.

عيبهـم أنهـم متسـامحين أكثـر، كلمتهـم غيـر موحـدة، صفهـم مشـتت، صوتهـم مبحـوح، جلودهـم للعـذاب ولحومهـم للـكلاب علـى حـد وصـف أحدهـم .

الطبقة الفقيرة تحت الخط

هـذه الطبقـة تـم اسـتحداثها مؤخـرا، فهـي تضـم المسـحوقين مـن

الطبقة الفقيرة وعندما أقول لك مسحوقين فأنا أعي ما أقول فعندما تسمع عن شخص مات من الجوع، وأخر تعفن في فراشه من المرض ولم يجد ثمن علبة الدواء أو ثمن العملية، وامرأة تبيع فلذة كبدها لإطعام إخوته، وتجد أب ينتحر لأنه تعب من ضغط الفقر والمرض والمصاريف، وعندما تجد أم تجيز لبناتها ممارسة البغاء من أجل لقمة العيش، وعندما تجد أب يسرق ليطعم عياله. فأهلا بك سيدي الكريم فأنت في منطقة معتمة ونتنة بسبب قرارات صناع القرار، ليس لأطفالهم وقت للدراسة أواللعب أوالضحك كباقي الأطفال يشتغلون في سن مبكر ويتحملون مسؤولية القرارات الإرتجالية والإجراءات التعسفية التي لا تخدع لشريعة أو قانون والتي تعمل على زيادة ثروة الطبقة الغنية وتشديد الخناق على رقاب أبناء الطبقة الفقيرة، وأرجح ولا أدعي علم الغيب بعد خمسة عشر سنة من اليوم ستبتلع هذه الطبقة، الطبقة الفقيرة بأكملها وثلثي الطبقة المتوسطة؛ وأخشى ما أخشاه سيدي الكريم أن تظهر في هذا المجتمع طبقات تحت الخط بالألوان فيقال: هؤلاء من الطبقة الفقيرة تحت الخط الأسود ، وأولئك من الطبقة الفقيرة تحت الخط البنفسجي، وأنتم من الطبقة الفقيرة تحت الخط الوردي أو الأصفر أو الأحمر، ثم يأتي المسؤول ويلعب على وتر اختلاف الألوان كما لعب الذين سبقوه على وتر الطائفية والقبلية والعرقية.

المجتمع والدين

المجتمع والسياسة

المجتمع والأخلاق

المجتمع والمرأة

المجتمع والقبيلة

المجتمع والدين

يطل علينا كل يوم مفتون يقولون عن أنفسهم إنهم مسلمون على شاشات المرناة ومواقع الشبكة الإلكترونية يفقهوننا بالعديد من القضايا الهامشية التي لا تمس جوهر حياتنا، وترسخ فينا البلادة والبله والتلهي والترهل والهلوسة، وتدفعنا إلى الضلال. هؤلاء مفتون يتكاثرون ويتحدثون بعنجهية وصلافة ظنا منهم أن ذلك يمنحهم القدسية ويحولهم إلى مرجعيات دينية تستطيع أن توزع المقاعد في الجنة والنار. وواضح من أنواع فتاواهم ومواضيعها وطرق صياغتها أنهم جهلة وضيقو الأفق، وربما أصحاب برامج انحرافية وضلالية، ومعرفتهم بالقضايا الدينية محدودة جدا وممزوجة بالكثير من الأضغاث والشعوذة. وفيما يلي بعض الفتاوى التي تنتشر على مختلف المواقع:

-إذا رفعت المرأة طرف ثوبها وهي تصعد الدرج (السلم) مخافة سقوطها على الأرض لحقت بها الشياطين.

-مدح الكافر حرام

-إذا سلمت على مسيحي انتقض وضوؤك

-إذا نسيت في الصلاة فعليك أن تتفل شمالا ويمينا تكفيرا

-يحرم على المرأة الابتسام بظهور أسنانها

-استعمال غرفة العناية المركزة حرام لأنها تتحدى إرادة الله

-يحرم على المرأة ركوب الدراجة والحصان

-كثرة القراءة تؤدي إلى الشرك بالله

-حجز المرأة الجميلة التي لا تغطي وجهها واجب

-حرام تعليم العلوم الاجتماعية والإنسانية لأن الإسلام قد وفاها حقها

-يحرم التفكير لأنه يقود إلى معصية

-للتفكير حدود، ومن يتعداها يسقط في الهاوية

-الشوارب ترقص عليها الشياطين.

-لا يجوز جلوس الفتاة مع أبيها إلا بوجود أمها.

ومن يتابع مسلسلات الفتاوى يسمع عن قضايا لم تخطر له على بال، ولم تأته حتى بالأحلام، وسيجد أن هناك طبقة من المتدينين غير المؤمنين قد تبلورت في البلدان العربية عبر السنين تهتم جدا بتتفيه الدين الإسلامي وجر المسلمين إلى ثقافة هلوسة تشل العقول وتعمي القلوب. واضح أن هؤلاء يحملون على عاتقهم مهمة ضرب الدين الإسلامي وذلك بإعطائه وجها ساذجا وسخيفا ليكون أضحوكة ومهزلة أمام الأمم وأمام أبناء الأمة العربية. هدفهم، سواء كانوا على وعي أو غير وعي، هو صد الناس عن سبيل الله، وعن القضايا الكبيرة التي يهتم بها الإسلام وهي إقامة العدالة بين الناس، والانهماك في العلم والعمل والجهاد على مختلف المستويات من

أجل تخليص الناس من الظلم والاستعباد والجهل والخنوع والتخلف.

هذه الطبقة من المتدينين غير المؤمنين لا تفتي حول الصلح مع الصهاينة وتدنيس مقدسات المسلمين، ولا تتحدث حول القوات الأجنبية الموجودة على أرض المسلمين، ولا عن زيارة البيت الأبيض، ولا عن التخلف العلمي في الجامعات العربية، ولا عن الظلم الذي يُلحقه الحكام بالفقراء والمساكين، ولا عن الاستغلال والاستعباد والقهر، ولا عن أهمية الإنتاج والتطوير التقني والاجتماعي والثقافي، الخ.

والمراقب يرى أن هذه الفئة الضالة منشغلة كثيرا ببث الفتنة بين المسلمين، وتوظف جهودا كبيرة لإحداث فتنة دموية بين السنة والشيعة، وتستقدم تاريخ الصراعات القذرة بين المسلمين لتحييها الآن وتشعل الحروب وتستنزف أبناء الأمة ماديا وأخلاقيا.

هذه فئة خطيرة جدا على الإسلام والمسلمين والعرب والأوطان. إن لم يكن هؤلاء جهلة فهم يخدمون برامج ومخططات معادية للأمة تعمل على ضرب الأمة من الداخل وبشعارات دينية.

لا تخشوهم. هؤلاء لا يرسلون أحدا إلى الجنة، ومفاتيح جهنم ليست بأيديهم، والحذر منهم وملاحقتهم ينجي الأمة من شرورهم وفتنهم. أمثالهم قادوا أوروبا إلى حروب قاسية ومريرة، ودمروا مقدرات الأمم الأوروبية؛ والجري خلفهم يعني أن مستقبلا أسودأ ينتظر الأمة بكل شعوبها ومذاهبها وطوائفها.

المجتمع والسياسة

الممارسة السياسية في مجتمعنا ترسخت عبر القطع نهائيا مع أي شكل من أشكال الحرية الممكنة في تداول السلطة وحرية الرأي وهكذا تراكمت تقاليد راسخة في الاستئثار والاستفراد بالسلطة والحريات وهو ما أنتج أجيال اعتبرت الاستبداد والوصاية والقمع والخوف من صميم الدلالة ومعنى المجتمع، والسلطة في مجتمعنا بل وفي التاريخ العربي الإسلامي كانت دوما سلطة خارجية، سلطة على الإنسان وإرادته وإختياراته وحرياته وسلطة على المجتمع بمؤسساته وتطوره وحكم مستقبله دونما أي اعتبار أن يكون المجتمع والدولة والمؤسسات هو الإنسان.

مجتمعنا يعيش قمة أزمته الفكرية والسياسية والاجتماعية فما خرج لنا بعد ثورات الربيع العربي ليس حرية وإنما ممارسات شعوب لم تتعلم معنى الحرية، غالبية مجتمعنا لم تتعود على عملية صنع الديمقراطية والدفاع عنها والمحافظة عليها وزيادة مكتسباتها،لأنه مجتمع مؤدلج منذ صغره على قمع الرأي الآخر وتخوين المعارضة وعلى تعليم الأجيال الأحادية الفكرية ودونية المختلف ووجوب الطاعة العمياء للحاكم ورجل الدين.

غالبية أفراد هم مجرد رعايا (غوغاء)لا يشاركون بشكل حقيقي في العملية السياسية في مجتمعهم,الأمر الذي يشكل تربة خصبة لنمو الانتماءات الفرعية وتكريس العزلة الحضارية وتبلور الاستقطاب الخارجي وتلاشي الطابع الديمقراطي وبروز الفساد، وغياب الحريات ورفض مفاهيم السلام والإختلاف.

عندما يتغير الحاكم في الضفة الآخر تتغير سياسة الإصلاح وتتجدد مناهج الحكم ويمارس الشعب الديمقراطية بينما مع تغير الحاكم في مجتمعنا يخاف الشعب من تزايد الفارق بين السيء والأسوأ القادم.

تتراكم المعالجة الخاطئة اليوم في مجتمعنا حول العديد من قضايا السياسة والمجتمع والأفراد، لأن من مارس الأخطاء سابقا كان ممنوعا من النقد والمحاسبةومن يمارس الخطأ اليوم هو أيضا ممنوع من النقد والمحاسبة لهذا يستمر التخلف ويتعاظم الإستبداد لأننا نورث نفس الأخطاء لكل زمان ومكان؛ أفراد مجتمعنا يتميزون بتناقض عجيب بين رفض الإستبداد والهجوم على الحريات والتشكيك في مفاهيمها ،فالغالبية تطالب بالحرية ولكنها تنكر الأدوات التي تحقق من خلالها إنها مرتبة قصوى في الانفصام التاريخي للمجتمعات التي أصبحت غير قادرة على الجمع بين الرغبة في ممارسة الحرية وممارستها في الواقع.

في مجتمع الواق واق، يقتل الحاكم فتصفق الرعية، يحكم الجهل وتُقمع الحرية، في مجتمع الواق واق ، ممنوع أن تكون مواطنا، أن تكون ثائرا، أن تكون مختلفا، ولكن من السهل أن تحظى بكل شيء إذا ما كنت داخل القطيع...

المجتمع والأخلاق

الأخلاق في مجتمعنا لها مفهوم مختلف،عن المسؤولية الفردية ومفاهيم العمل والتعايش والمواطنة على نمط ديني يتحدد من خلال الشكليات فقط، فالبعض لا يشعر بالذنب إذا ما قتل أخته أو سرق جاره ولكنه يأكل نفسه ويبكي ذنبا ويطلب المغفرة إذا ما فاتته الصلاة،يفتخر البعض بقدرته على خرق القوانين على ضرب المرأة تقديس رجل الدين على تبجيل العادات والتقاليد على تكفير المختلف على كراهية النقد ولادة أجيال مثل آباءه وأجداده والغريب بعد كل هذا يدعي أن ما يقوم به هو بطولة وأخلاق.

الفرد في مجتمعنا ينشأ خاضعا لجملة من المفاهيم والأخلاق والعادات ولكن نادرا ما يتساءل عن صلاحيتها وعقلانيتها وجذورها بل بالعكس يمررها لأبنائه ولمجتمعه ويحرص على تقديسها وعدم المساس بها حتى نشأت أجيال لا تفكر ولا تسأل عن أسباب

تخلفها ولا تهتم بتطوير وتحسين واقعها، الأخلاق التي نشكو منها لم تأتي من فراغ بل هي المحددات الرئيسية في تشكيل العقل العربي المسلم وفي هذا يقول إميل دوركايم: " إن القيم الأخلاقية بمختلف أنواعها وأشكالها سببها المجتمع وما سلوك الأفراد في حياتهم اليومية إلا إنعكاس للضمير الجمعي الذي يهيمن على كل فرد في المجتمع ".

الغالبية من الناس ترى نفسها بشكل استعلائي بأنها أفضل من كل الأمم وتظل مدى حياتها معجبة بهويتها وبثقافتها الموروثة رغم أن تلك الناس ضعيفة في أفكارها فاشلة في عطائها وخائبة في إنتاجها وتعاني على الدوام من استلاب ثقافي وخلل منهجي وتراكم كبير للتناقضات والتخبط وغياب الأخلاق.

في مجتمعنا أصبحت الكراهية التكفير الإقصاء ثقافة وأخلاق، فهي اليوم تقتل الناس وتدمر المجتمعات بدون الدخول في الحروب.

المجتمع والمرأة

أما عن علاقة المجتمع بالمرأة فيكفي أن أقول لك:

-لا يزال مجتمعنا ينظر للمرأة على أنها مكنة تفريخ وجدت لإشباع رغبات أفراده، شأنها شأن أي كرسي أو طاولة أو مكنسة

كهربائية متى ما أصابها عطب وجب استبدالها بما هو أحدث.

-لا يزال المجتمع يشمئز ويخجل من إنجاب الإناث ويتفاخر بالذكور مع أن سبب بلوى المجتمع اليوم هو الذكور وتصرفاتهم اللاعقلانية التي تنم على جهل وقلة وعي..

-لا يزال المجتمع يخجل ويعارض بشدة تبوء المرأة مكانة عالية في الدولة ويرى فيذلك إهانة لمجتمعه الذكوري.

-لا يزال المجتمع يرى في خروج المرأة للعمل عيب وعار وأن مكانها الأصلي في المطبخ حاصرا بذلك وظيفتها في الكنس والطبخ والجنس.

-لا يزال المجتمع يرى في تعليم المرأة شيء ثانوي ويحقد مجتمعنا العظيم على المرأة الناجحة ويصفها بالمسترجلة وبأقذر النعوت والأوصاف.

-لا يزال الفرد في مجتمعنا يعتبر ضرب المرأة أمام أبنائها وأهله وأهلها وفي موقف الحافلات والأماكن العامة رمزا للشهامة والرجولة.

-لا يزال الرجل في مجتمعنا يمشي وخلفه المرأة بمترين أو ثلاث ويعتبر وقوفها ومشيها معه في نفس الخط نقيصة وتطاول على ذكورته الجوفاء.

-لا تزال البنت في مجتمعنا تزوج من غير إذنها وإن رفضت أو عارضت بيعها تُعتبر عاقة لوالديها مطرودة من رحمة الله.

-لا تزال المطلقة والأرملة في مجتمعنا عاهرة، منبوذة، مشكوك

في أمرها، مراقبة من أهلها وأهل زوجها وزوجها والجيران وسكان المنطقة لا لشيء إلا أنها مطلقة أو أرملة.

-مجتمعنا مريض بالمرأة لا هم له سوى مراقبة شعرها، حجابها،عطرها، ضحكتها،مشيتها، شهيقها، زفيرها، طريقة كلامها، لون لباسها.

كل هذا وأكثر يحدث في مجتمع يدعي أنه يطبق تعاليم الإسلام، وحاش الإسلام أن يدعوا إلى مثل هكذا تصرفات؛ فالإسلام جاء معالجا لهذه الأمراض والعقد ولكن للأسف ما أكثر الذين يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم بعقلية الجاهلية الأولى نعم مسلم ولكن بشرط أن تبقى المرأة تحت قدمه وتصرفه متى ما شاء ضاجعها ومتى ما شاء باعها. ويبقى السؤال مطروح لماذا تخالف نظرة المجتمع للمرأة الدين؟

المجتمع والقبيلة

مجتمعنا اليوم مختطف ويعود تاريخ اختطافه إلى ما قبل البعثة المحمدية بقرون، أما مسرح الجريمة الذي حدثت فيه عملية الاختطاف فهو محصور بين المحيط والخليج عموما وهنا خصوصا، وعلى الرغم من محاولة الإسلام من فك أسره وصهر كل القبائل

والإنتماءات في بوثقة أمة إسلامية لا فرق فيها بين أعرابي وأعجمي إلا بالتقوى، إلا أنك ستجد في مجتمعنا هناك من يؤمن بالله سبحانه وتعالى وبالرسالة المحمدية ومستعد أن يفديها بنفسه وماله وعرضه وولده ولكن إيمانه ودوده عن بيضة الإسلام قاصر لأنه دخل الإسلام ولم يدخل الإسلام قلبه وعلة ذلك أنه دخل الإسلام بعقلية الجاهلية، ولو وازنة بين ولاء الرجل لدينه وولائه لقبيلته لا رجحت كفت قبيلته على كفت دينه، ولا وجدت كلام شيخ القبيلة أكثر وقعا وتأثيرا فيه من قوله صل الله عليه وسلم، وهذا ما استغله شيخ القبيلة لتحقيق مآربه ولعل أهمها البقاء على سدة الحكم وإن اقتصر حكمه لقبيلة ما، فهي بالنسبة له ورقة مساومة وضغط على من تتقاطع مصالحهم مع مصالحه غير مكترث بمصلحة الدولة العليا.

ولعلك من هذه اللمحة المقتضبة أدركت من المُخْتَطِف للمجتمع وما هي أهدافه المنشودة من وراء فعلته الشنيعة التي تعرقل نمو وازدهار المجتمع، ولا يقتصر دور القبيلة والعصبية لها على عرقلة سير عجلة التنمية بل يذهب أبعد من ذلك حيث يضع أمن المجتمع واستقراره على كف عفريت ويجعله مضطرب ودائم الاستعداد للقتال والقتل مما يكبد البلاد خسائر مادية ومعنوية جمة ويؤخرها خطوة أو خطوتين عن الركب الحضاري.

يعزز التعصب النظرة الدونية للمتعصب تجاه المجتمع والدولة

ونظرته للأخر من مبدأ الرفض و الفوقية والتعالي وامتلاك المتعصب مكانة وهمية يخلقها في نفسه ونظرة يخلقها لمجتمعه و دولته تنبني على الصراع والعداوة .

مباعدة التعصب القبلي بين أفراد المجتمع وتمييزه الطبقي بينهم وشحنه للنفوس وتعزيزه لمفاهيم الصراع بين أطياف المجتمع .

اندفاع المتعصبين إلى القيام بالسلوكيات المنحرفة والغير أخلاقية والمضادة للمجتمع وقيمه والقيام بالعنف تجاه المتعصب ضدهم من أفراد أو جماعات .

شعور المتعصب بأن تعصبه يتنافى مع المبادئ الأساسية للمجتمع مثل الاعتقاد في المساواة بين البشر والحرية والعدالة وغيرها, وتعارض ذلك مع مبادئه ما يخلق صراع نفسي داخلي لديه .

يؤدي التعصب في الغالب بضحاياه إلى تعزيز الأمراض النفسية ورفع قيمة الأنا وتحجيم وتصغير الأخر مما يسهم في توليد الأمراض النفسية كالنرجسية وسمو العرق والغرور والوهم المرضي وغيرها كثير .

تنمية التعصب لمفهوم العداوة تجاه الآخر بمعنى الميل إلى اتخاذ السلوك العدواني كطريقة للتعامل مع ضحايا التعصب دون أي مبررات تعطيه الحق في هذا العمل سوى شعوره بالأحقية العصبية في ذلك .

يؤدي التعصب إلى عدم قدرة المتعصبين على التفكير وجمودهم في فهم مشاعر الآخرين بمعنى أن المتعصب لا يستطيع رؤية نفسه في

موضع المقابل أو الطرف الأخر ونظرته للأمر من جهة ضحية التعصب .

تجذير التعصب للقيم السلبية في المجتمع وجعلها إطار مرجعياً لسلوك أفرادها ومنحها القوة الدافعة لاستمرارية وجود معايير الجمود والتصلب وتعزيزها للمفاهيم السلبية للجماعة وإعطائها الصفة الاجتماعية والنمط السلوكي الذي يقوي من متعصبيها.

وقوف التعصب كعقبة في وجه التطور والتقدم الحضاري واستمرارية الأطوار الاجتماعية ومواكبتها للتنمية فهي تقف في وجه عملية التنمية من حيث احتياج التنمية سلوكيات وقيم جديدة تخدم أهداف التنمية كالأعمال الحرفية والمهنية التي يأنف بعض المتعصبون منها , ولذا فإن كانت هذه القيم ثابتة ومتخلفة أصبحت عقبة في وجه التطور والتنمية .

يعتبر التعصب القبلي معوق حقيقي من معوقات الثقافة التي تواجه المجتمع وتقف في وجهها في كثير من المناحي منها السياسية كالبعد عن المشاركة السياسية وعدم انتخاب الأصلح ولكن الأقرب قبلياً , وصناعياً كالأنفة من العمل المهني والصناعي, واجتماعياً كالبعد عن المشاركة الاجتماعية مما يخلقه التعصب من انعزال أفرادها عن المجتمع.

وقوف العصبية القبلية ضد عملية المشاركة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لأنها تغلب المعيار الثقافي للقبيلة على ما تقتضيه

المصلحـة العامـة وتجعلهـا المحكـم الحقيقـي فـي ذلـك .

عـدم امتـلاك المتعصـب هويـة حقيقيـة مسـتقلة بعيـداً عـن الجماعـة تسـاعده فـي التكويـن السـليم للشـخصية ولكـن اعتباراتـه القبليـة تضـع حاجـز يمنعـه مـن كسـر الأعـراف والقيـم والعـادات المعتقـد بهـا لديـه وان كانـت سـلبية ممـا يخلـق فجـوة داخـل هويـة المتعصـب وتناقـض ثقافـي وفكـري يلزمـه ويؤثـر علـى قراراتـه .

إسهام التعصب القبلي بدوره كلاعب في التنشئة الاجتماعية الأسرية للطفـل وزرع مفاهيـم التعصـب لـدى الأطفـال وتكوينـه فـي نفوسـهم ممـا يـؤدي إلـى اسـتحالة استئصال هـذه الظاهـرة لأنهـا نشـوئية متجـددة .

إن لـم يتحـرك الشـرفاء والخيريـن مـن أبنـاء البلـد لتخليـص المجتمـع مـن براثـن القبيلـة والعصيبـة لهـا المقيتـة فلـن نصـل حضـارة ولـن نشـم ريحـا ولـو بقينـا ألـف سـنة نقـرأ ونكتـب ولـو ملكنـا عصـى موسـى وخاتـم سـليمان ومصبـاح عـلاء الديـن. فالأخـر ضـروري فـي بنـاء المجتمـع وتطـوره ولا يمكـن بـأي حـال مـن الأحـوال إقصـاء المخالـف لنـا، فتفاعـل المـواد وإعطـاء مـادة جديـدة فـي مخابـر الفيزيـاء والعلـوم والكيميـاء لـن يحـدث مـن نفـس العناصـر فالهيدروجيـن علـى الهيدروجيـن لـن يعطـي شـيء مالـم نضيـف لـه أكسـجين الـذي ينتـج المـاء الـذي يطفـئ النـار ويسـقي الـزرع والإنسـان.

الخاتمة

مما تقدم:

-نحن علمانيون بالأفعال متدينون بالأقوال، نقول ما لا نفعل ونفعل مالا نقول.

-ديمقراطيون وديكتاتوريون في آن واحد، نطالب بتطبيق الديمقراطية ومبادئها ونرفض ونكره ونحارب وجود الآخر المختلف الذي أتت به الديمقراطية التي نطالب بتطبيقها !!.

-فاسدون ونبحث عن حاكم صالح يصلح أحوال البلاد والعباد متناسين قول عبد الملك ابن مروان كما جاء في كتاب عيون الأخبار للدينوري: "ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر! نسأل اللّه أن يعين كلاً على كل ".

وجاء في مفتاح السعادة ج1/253 لإبن القيم:{ وتَأمَّلْ حِكمتَه تَعالى في أن جعَلَ مُلوكَ العِبادِ وأُمراءَهم ووُلاَتَهم مِن جِنس أَعمالِهم بل كأنَّ أَعمالَهم ظهرَت في صُوَر وُلاَتهم ومُلوكِهم فإن استَقامُوا استَقامَت مُلوكُهم، وإن عدَلوا عدَلَت علَيهم وإن جارُوا جارَت مُلوكُهم ووُلاَتُهم، وإن ظهَرَ فيهم المَكرُ والخَديعةُ فوُلاَتُهم كذلكَ وإن

مَنَعوا حُقوقَ الله لدَيهم وبَخِلوا بها مَنعَت مُلوكُهم ووُلاَتُهم مَا لهم عندَهم مِن الحقِّ وبَخِلوا بها علَيهم وإن أَخَذوا ممَّن يَستَضعِفونه مَا لاَ يَستَحقُّونه في مُعاملتِهم أَخذَت مِنهم المُلوكُ مَا لاَ يَستَحقُّونه وضَرَبَت علَيهم المُكوسَ والوَظائفَ وكلُّ مَا يَستَخرِجونَه من الضَّعيفِ يَستَخرِجُه الملوكُ مِنهم بالقوَّةِ فعمَّالُهم ظهَرَت في صُوَر أَعمالِهم وليسَ في الحِكمةِ الإلهيَّةِ أن يُوَلَّى على الأَشرارِ الفجَّارِ إلاَّ مَن يَكونُ مِن جِنسِهم ولمَّا كانَ الصَّدرُ الأوَّلُ خِيارَ القُرونِ وأبرَّها كانَت ولاَتُهم كذَلكَ فلمَّا شابُوا شابَت لهم الولاَةُ فحِكمةُ الله تَأبَى أن يُوَلِّي علَينا في مِثل هَذهِ الأَزمانِ مِثلُ مُعاويةَ وعُمرَ بنِ عَبدِ العَزيز فَضلاً عن مِثل أبي بَكرٍ وعُمرَ بَل ولاَتُنا على قَدْرنا، ووُلاَةُ مَن قَبلَنا على قَدرِهم وكلٌّ مِن الأَمرَين مُوجبُ الحِكمةِ ومُقتَضاها ومَن له فِطنةٌ إذَا سافَرَ بفِكرِه في هَذا البابِ رأى الحِكمةَ الإلهيَّةَ سائرَةً في القَضاءِ والقَدَر ظَاهرةً وبَاطنةً فيهِ، كما في الخَلقِ والأَمرِ سَواء فإيَّاكَ أن تظنَّ بظنِّك الفاسدِ أنَّ شَيئًا مِن أَقضيتِه وأَقدارِه عارٍ عن الحِكمةِ البَالغةِ بل جَميعُ أَقضيَتِه تَعالى وأَقدارِه وَاقعةٌ على أتمِّ وُجوهِ الحِكمةِ والصَّوابِ ولَكنَّ العُقولَ الضَّعيفةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن إدراكِها

كما أنَّ الأَبصارَ الخَفاشيَّةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن ضَوءِ الشَّمس وهَذهِ العُقولُ الضِّعافُ إذَا صادَفَها الباطِلُ جالَتْ فيه وصالَتْ ونطقَتْ وقالَتْ كما أنَّ الخُفَّاش إذَا صادَفَه ظلاَمُ اللَّيل طارَ وسارَ خَفافِيشُ

أَعْشاهَا النَّهارُ بضَوئِهِ ولاَزَمَها قِطَعٌ مِنَ اللَّيْل مُظْلِم}.

ولا بأس أن نضيف قصة ما حدث بين ابنة هولاكو زعيمِ التتار وعالم من علماء المسلمين في بغداد-من باب ذكر وليس من باب الحشو- يحكى أن ابنة هولاكو زعيمِ التتار كانت تطوف في بغداد فرأت جمعًا من الناس يلتفون على رجل منهم، فسألت عنه ...

فإذا هو عالم من علماء المسلمين، فأمرت بإحضاره، فلما مثل بين يديها سألته:

ألستم المؤمنين بالله ؟

قال : بلى.

قالت: ألا تزعمون أن الله يؤيد بنصره من يشاء؟

قال : بلى.

قالت: ألم ينصرنا الله عليكم؟ قال : بلى.

قالت: أفلا يعني ذلك أننا أحب إلى الله منكم ؟

قال: لا. قالت: لم؟!

قال: ألا تعرفين راعي الغنم ؟ قالت : بلى.

قال: ألا يكون مع قطيعه بعض الكلاب؟ قالت: بلى.

قال: ما يفعل الراعي إذا شردت بعض أغنامه ، وخرجت عن سلطانه؟ قالت: يرسل عليها

كلابه لتعيدها إلى سلطانه.

قال: كم تستمر في مطاردة الخراف؟ قالت: ما دامت شاردة.

" قال: فأنتم أيها التتار كلاب الله في أرضه وطالما بقينا شاردين عن منهج

الله وطاعته فستبقون ورائنا حتى نعود إليه عز و جل .فالقصة مقبولة عقلا ونقلا، عقلا لا يمكن لشخص غير الأنبياء أن يربي أمة مكونة من ستين مليون شخص ما لم تكن فيهم الرغبة والإرادة للصلاح والتغيير للأفضل أما نقلا فلم يأتي الزمن بحاكم أعدل من عمر بن عبد العزيز ومع ذلك مات مقتولا من رعيته !!

-نحن مسلمون متدينون بعقلية جاهلية، فنحن نصلي ونصوم ونحج ونزكي ولكن المرأة نهضم حقها الذي أعطاها إياه الإسلام، لا زلنا نفتخر بإنجاب الذكور ونخجل من إنجاب الإناث، وإلى يومنا هذا لا زالت بعد العقول في مجتمعنا ترى أن المرأة لا ترث على رغم من وضوح النص القرآني الذي فرض لها حقها.

-لا نفهم السياسة ونمارسها، لا نفقه في الدين ونفتي لعامة المسلمين، لا نرى الحرام إلا في القروض الربوية، الشتم والسب والتكفير والتخوين هي وسائل أخلاقية عندنا للدفاع عن القضايا المختلف حولها.

-نحتكم للعاطفة لا للعقل مما جعل مواضيع قضايانا بعيدة عن الموضوعية، خاضعة للأهواء منحازة بشكل كبير إلى ما يستقر عليه

الـرأي الجمعـي أكثـر مـن الـرأي المنطقـي.

-تعيـش غالبيتنـا فـي حالـة إزدواجيـة الشـخصية بحيث يتربى الإنسـان بشـكل متناقـض كليـا مـع الـذات الكامنـة فـي داخلـه فهـو فـي العلـن ملـزم علـى تقديـم نفسـه كمـا يريـد أن يكـون (ملحـد، مثلـي ...) ممـا يخلـق شـعوب قائمـة علـى النفـاق.

الفهرس